«إنَّ الإسلام بَدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بَدأ؛ فطوبى للغرباء، قيل: ومَن الغرباء؟ قال: النُّزَّاع مِن القبائل»

العدد ٦

النزاع

مجلة

شوال ١٤٤٥ هـ

كلمة شهرية

إلى أبناء الدولة (١)

الثبات أمام المتغيرات

الاستشراق (٤)

نماذج من النساء العالمات (٢)

بُنِيَت على كدر

غزوة الأحزاب... دروس وعبر

التقويم الهجري في الداخل

مجلة شهرية تصدر عن سراج الطريق
www.seiraj.com

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

للنشر في المجلة

الرجاء مراعاة الشروط التالية:

١. الموافَقة في المعتقد المبسوط في كتاب الهداية.

٢. ألا يكون المقال منشورًا من قبل.

٣. تحرير عنوان المقال مع اسم الكاتب أو كنيته.

٤. الالتزام بالفصحى وقواعد اللغة، وخلو المقال من الأخطاء.

٥. ذكر المصادر والمراجع في ذات المقال وليس في الهامش.

٦. ألا يتجاوز المقال ٤ صفحات.

٧. إرسال المقال في النصف الأول من الشهر الهجري الجاري.

ترسَل المقالات عبر البوت أدناه في تيليجرام

seirajultareeq_bot

١٤٤٥ هـ

شوال

السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	١	٢	٣
٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤
٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩ ترائي		

الشراع
www.seiraj.com

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد

تقبَّل الله منا ومنكم

نتقدم من هذا المنبـر المبارك لجميع المسلمين في مشـارق الأرض ومغاربهـا بالتهنئـة بعيد الفطر ونسـأل الله تعالى أن يعيده علينا بالعزة والجماعة والتمكين والألفة واليمن والبركات.

ولنـا في الله الظـن الـذي لا يخيـب وبـه نستعيـن والحمـد للـه رب العالميـن.

الشراع
www.seiraj.com

صوم يوم الفطر والنحر

عن أبي سعيد الخدري، قال: نهى النبي ﷺ عن صوم يوم الفطر والنحر، وعن الصَّمَّاء، وأن يحتبي الرجل في ثوب واحد، وعن صلاة بعد الصبح والعصر.

صحيح البخاري: ١٩٩١

ثم يخطب بعد الصلاة

عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ كان يصلي في الأضحى والفطر، ثم يخطب بعد الصلاة.

صحيح البخاري: ٩٥٧

ويأكلهن وترًا

عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات، ويأكلهن وترًا.

صحيح البخاري: ٩٥٣

إن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا

عن عائشة بنت أبي بكر، قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بُعاث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟! وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا.

صحيح البخاري: ٩٥٢

السراج
www.seiraj.com

إلى أبناء الدولة !

محمد بن سعيد الأندلسي

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على المصطفى، أما بعد:

تجول الخواطر في قلبي، وتمضي بعيدًا في السماء ترتفع، ترجو الخلاص طريقها وسبيلها، نحو النجاة لأمّتنا تتطلع، ثم ما تلبث أن تعود أدراجها خفافًا بخفّي حُنين فترسم حسرات في عميق قلوبنا تتقطع... كأني لا أعرف من كنتُ أعرفه، كأنهم ليسوا من خَبِرْت قَبل وكنت بهم مغتبطًا متكثرًا أتوسّع... هي أشجان تجول في نفسي وخاطري، تتردد بين أمسِنا ويومنا وغدٍ كلها عليّ الآن تجتمع... تحكي خذلانًا للحقّ توارثه من انتسب إليه ممّن عاصرتُ عَبْرَ جميع محطاته وأيامه، تحكي هروبًا جَماعيًّا من تَبِعَات لازمة لهذا الدين، تحكي تركًا لأعباء ثقيلة مُطَّرَحَة فلا القلوب هي تحملها ولا سواعد هاهنا لترفعها، تحكي انتكاسةً ممّن ظننتُ أنه سَاعِدٌ لنصرة هذا الحقّ، ثم ظهر أنه لا يعدو أن يكون ظهيرًا للمجرمين وَرِدْءًا للكافرين.

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو مِنْكَ خَيْرَ نَاصِرٍ
عَلَى حِينِ خِذْلَانِ الْيَمِينِ شِمَالَهَا

لَكِنَّكَ سَهْمًا بَقِيتَ فِي كِنَانَتِهِمْ
مُتَكَثِّرًا بِسَوَادِ أُمَّتِهِمْ وَضَلَالِهَا

منذ أن سلكنا مسار التجرّد لمعرفة الحقّ الضائع في هذا الزمان، ونحن نبذل له من أيامنا وأحلامنا وشبابنا؛ فكلما عرفنا طرفًا منه خسرنا معه طائفة من الناس ممّن حولنا، سواء أكانوا من الخاصة أو العامة، ويُنصب لنا منهم العداوة والبغضاء، وتُفتح علينا ألسنتهم بالطعن والتشهير والنَّقْصَاء، فكم نالنا من أذاهم وأصابنا من سهامهم ولم يصدّنا كل ذلك عمّا نعتقد وندين، حتى استوى عندنا فراق القريب مع البعيد، واشتدّ القلب على ولع الفراق وطعن الرفيق، حتى صار الفؤاد لا يلتفت إلى من تَساقط خلفه أو انتكس حوله أو ارتدّ عن الطريق.

إنّ معنى الثبات يا أخي أن تزداد يقينًا في الحقّ ورسوخًا عليه، رسوخٌ لا تزعزعه شبهات المشبّهين أو تلبيس المدلّسين، حتى لا يشكّ القلب أنّ ما حوله من الأنام على غير صحيح الإسلام؛ فالثابت لا يزداد فيهم إلا وضوحًا في الأسماء والأحكام، كيف وهُم يجهلونه ويبتعدون عن حقيقته في كل حين أميالًا وأيام، فلعمري لم يتشرّب القلب يقينًا كما هو في حُكم عموم الأقوام في هذه الديار... فيا ليت قومي يعلمون.

إن ممّا يزيد الفؤاد كمدًا، ما تراه من تخبّط وتشرذم ونكول ونكوص؛ فترى من يعود إلى الجاهلية طوعًا بعد أن عرف الحقّ وخالط بشاشة قلبه... يرجع إلى دين

يَـا طَـالِـبَ الْـحَـقِّ مُـرِيـدًا لِـلْـهُـدَى *** اِسْمَـــعْ بِـفَـهْـمٍ حَـاضِـرٍ يَـقْـظَـانِ
اِخْـلَـعْ قُـيُـودَ أَسْـرِهِـمْ وَهَـوَانِـهِـمْ *** كَـسْـرًا لِـذِي الْأَصْـنَـامِ وَالْأَوْثَـــانِ
وَتَـعَـلَّـمِ الـدِّيـنَ الـصَّـحِـيـحَ بِـحَـدِّهِ *** وَاحْكُـــمْ بِـهِ وَضْـعًـا عَـلَـى الْـمِـيـزَانِ
وَارْفَـــعْ بِـرَأْسِـكَ نَـاظِـرًا فِـي قَـوْمِـنَـا *** هَـــلْ هَـــؤُلَاءِ عُـصْـبَـةُ الْإِيمَـــانِ؟

القوم المشركين فيصحّح إسلامهم ويسفّه من خالفه وما كان عليه هو قبل حين، كأنّ الدين قميصًا يلبسه ثم يخلعه متقلبًا بين المقالات، كأنه في نزهة عابرة بين المِلل والنحَل والديانات. ولا ينقضي العَجَب ممّن يعود إلى أحضان المجرمين ممّن لا تزال أيديهم تقطر من دماء الموحّدين، فيضع يده في يدٍ غدرت مرّات وكرّات بالمسلمين، ولعمري... كأنّ الهوى يقوده إلى هلاكه وخسرانه وهو لا يدري... يمضي بسيفه في جماعة لا تقدر على إظهار ما تعتقد مكتوبًا أو مسموعًا، بعد أن فضَحها الله بتوالي البيانات ثم نقضِها والبراءة منها... يمضي تحت راية دون بيان واضح فاصل في مسائل الخلاف والنزاع... راية رجعَت إلى الضبابية التي كانت عليها قَبل البيانات... وكلٌّ فيها يدّعي وَصْلًا بليلى ويزعم أنّ معتقَد الجماعة ما يعتقده هو ويَدِين، وهيهات هيهات... فلسان حالهم: لا يهمّ ما تعتقد وترى؛ فهناك مساحة واسعة في ذلك لِمَا ترى، ما يهمّنا هو ولاؤك لهذه الجماعة والقتال تحت رايتها.

بعض الغافلين، أو قُل المتغافلين، يكذب على نفسه لمّا يوهمها أنّ هناك توافق عقائدي بين صفوفها... والواقع يشهد أنّ هناك شرخ كبير بين المنهجين؛ فبين منهج «القحطاني والبنعلي» ومنهج «الفرقان» خندق واسع لا تلتقي فيه الأقوال والآراء، يكفّر فيه بعضهم بعضًا، ولن يستطيع أحد الفصل في ذلك النزاع حتى ما يسمى عندهم بالإمام، بل هو الترقيع ومدّ جسور الالتقاء في نقطة بينية بينهما، وهيهات هيهات... إنّ السياسة حتّمت عليهم تعتيم الجوّ بضباب كثيف يحجب الرؤية؛ للبقاء، فسياستهم إبّان التمكين تدقّ أعناق من يكفّر الأقوام والرعايا، وعند الاستضعاف هو قول له وجه من النّظر قد لا يُنْكَر على قائله حفاظًا على لُحمة الجماعة، ولكنها ما تلبث أن تعود للتطهير العرقي لهذا القول بعد التمكين، ككل مرة وحين في قصة متكرّرة لِمَا قبل وبعد التمكين... وارجع إلى الوراء لتعلم أنها قامت في الشام على سواعد من تسمّيهم بالغلاة، وبعدها عملتْ على التطهير للدخيل بالطعن الغادر في الفلاة.

هل تعلم أيها المتعصّب أنه ليس لها خيار في هذه المسألة أو مقال؟ حيث أنها منذ تأسيسها كانت هي النظرة ذاتها في هذه الشعوب والأقوام، وقد فصَلها الزرقاوي بخطاباته في «الأمّة الغالية» و«الشعوب المسلمة»، والضابط البغدادي من بعده كذلك، وأُبيدَ من أجْلها جماعة ديالى، ورسّخها العدناني بقوله لقومه: «سنبقى نحبّكم ولو كرهتمونا، وننصركم ولو خذلتمونا»، فليس

هناك مجال للمداهَنة فيها بعد الظهور، وإن كان للمخالِف مقال قبل التمكين فليس له إلا السيف بعدها والتنكيل؛ فالمنهج عند الحُجّاج مرسوم والطريق معبّد على جنباته العبوّات، والداخل دخيل، وليس هناك مجال للإصلاح أو التغيير، والسيف يقع كل مرة على المنهج الجديد، والعلاج عندهم ككل مرة بِالْكَيّ والحديد، ولك في «أبي بكر شيكاو» الخبر اليقين.

إنّ الوقوف على حافّة الطريق وقفة جادّة لإعادة النظر في كل شيء، وقفة صادقة يتجرّد فيها السالك من الأهواء والأدواء، ويَعرض فيها نفسه وطريقه وقومه وجماعته على الميزان الحقّ الذي لا يُخطئ التوصيف، فينقاد إلى السبيل القويم ويعلن البراءة من سبيل المجرمين، لَهُوَ صنيع العاقل الذي مرّت عليه الأحداث الجِسام والنوائب العِظام ودائرة الزمان، ولا يَتَمَلَّكُه البَطَر والكبرياء ويَكْبُر عليه الحقّ الذي حاد عنه سلفه الأشقياء.

إنّ الرجوع إلى الحقّ وإن كان في آخر الطريق؛ رفعة عند الله تعالى، ويعفي المتبوع من تَبِعات ضلال المتبوعين وقتلهم تحت رايات جاهلية... إنّ الوقوف بين مفتَرق الطرُق للبحث عن سبيل المؤمنين في آخر الزمان -وكثرة الفتن وشدة الاختلاف على حقيقة الإسلام مع تنوّع المشارب والمدارس والمقالات-، ربما يكون بعد البأساء والضّراء والزلزال الشديد والفَقْد الوجيع، والله عزّ وجلّ يوفّق للحقّ من جاهد وتجرّد وألقى السمع وأنصَف، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

إنّ من يُمَنّي نفسه أنهم على منهج زيد أو عُبَيد أو أنها رجعت أو عادت أو كفّرت هٰذه الأقوام أو توقّفت -أو مِن هٰذا الكلام الذي يتمّ تسويقه على السذّج والمناصرين والأنعام-، فقد كَذَبَ أو وَهِمَ؛ فلن تكون إلا على معتقَد من أسّسَها ووضَع لَبِنَاتها وقواعدها، فلن يهدم أمراؤها ما بناه المتقدّمون من الحُجّاج قبلهم، فهُم على دينهم سائرون ومُقتفون، ولا يلعن آخر هٰذه الدولة أوّلها -كما قاله البنعلي قديمًا، وأنا على ما أقول مسؤول-، ولا يُؤخذ منهجها وقولها واعتقادها إلا من أميرها أو متحدّثها، وكل قول دون قوله فهو كلام للتسوية والتسويق لا يُعَبِّر إلا عن قول قائله ولا يعدو، فلا تغترّ أيها المغفّل بما يُذاع ويُقال ويُنسَب؛ فسيذوب الجليد ويَظْهَر ما يَخْفَى من القول البليد، واعلم أنّ النصرة هي لجماعة المسلمين، لا لجموع المشركين تحت رايات المبدِّلين... الجماعة المسلمة التي يتحرّك جموع الصادقين لبنائها وتشييد صرحها والبذل لها، فلا تغترّوا بالأسماء والألقاب والإعلام، وتعلّموا الإسلام بحدّه الصحيح؛ فهو الميزان الذي توزَن به الحركات والجماعات والدوَل والولايات، فلا تُحَكِّمُوا العواطف في الدين وتبذلوا الأعمار والأموال في خَواء، حتى تتحقّقوا من صحة البناء وسلامة العقيدة وسداد المنهج؛ فهنالك تكون النصرة وهنالك يكون الولاء.

وأقول لك ناصحًا ومشفقًا: تَحَقَّق قبل أن تَرفع السلاح، وتَبَيَّن لِمَن تقاتِل ولِمَ تقاتِل ولِمَن تَبْذُل هٰذه الدماء والأنفاس، هل تقاتِل لتَحْكُم المشركين بشريعة ربّ العالمين أو لتَرْفَع الظلم عن سوادهم وعوامّهم كما قاله المتحدث الرسمي في هٰذه الجماعة؟ إن كنتَ كذٰلك فاعلم أنّ هٰؤلاء ليسوا محلًّا للحُكم بما

فَمَنْ لِلْإِلَهِ خُرُوجًا نَفَرْ *** جِهَادًا يُرِيدُ الْعُلَا وَالنَّجَاحْ
بِتَصْحِيحِ أَصْلٍ وَكَسْرِ صَنَمْ *** اِبْتِدَاءً يَقُولُ بِعَقْدٍ فِصَاحْ
وَإِلَّا لَكَانَ قِتَالًا عَلَى *** سَبِيلِ الطُّغَاةِ وَنَهْجٍ فُضَاحْ

أنزل الله، بل هُم محلّ للدعوة إلى الإسلام، ومن ظنّ أنه ستقوم الدولة الإسلامية في هذه الجاهلية النكراء على هؤلاء الجاهليين بمجرّد خلع الأنظمة وتطبيق الحدود الشرعية -كما هو تَصَوُّر الحُجّاج اليوم-، فهذا أحمق يقود مجموعة من الحمقى يعيشون في وهْم كبير... إنّ إقامة الحدود على المشركين وأخْذ الزكاة منهم ودعوتهم لقتال إخوانهم لا يُصَيّرهم مسلمين؛ فهُم غير مخاطَبين بفروع الشريعة ابتداءً بل هُم مخاطَبون بأصلها.

إنّ قضية وجود المسلمين والإسلام اليوم هي التي تحتاج إلى علاج، وهي نقطة البدء التي ينبغي الانطلاق منها في المنهج الحركي لتغيير الواقع الجاهلي في هذا الزمان، بإقامة المجتمع المسلم الذي يوازي المجتمع الجاهلي ويدافعه حتى يظهر عليه، أمّا السعي في إقامة الدولة بإقامة الأحكام العملية الفرعية على هذه المجتمعات الجاهلية، فهو كمن يريد بناء الصّرح فوق الرمال؛ فلا هي تحمله، يبني الصّرح فوق رمال متحركة بلا أساس له ولا أصول راسخة، ولا يدري هذا الجاهل أنّ هذا المحلّ غير قابل لهذا البناء، فسيلفظه ولو بعد حين.

فإلى من شابت لحيته في الثغور والنّزال، يحسب أنه على جادّة الطريق قد أصاب المَوْرد الزّلال، وهيهات هيهات... إلى من استكبر على الحقّ وكابَر حتى فني وأفنى... إلى من يصرّ على عبادة الرجال واقتفاء أثر الآباء والأبدال ولو كانوا ضُلّالًا جُهّال... إلى من كَبُرَ عليهم ما دعوناهم إليه قديمًا... عودوا إلى الحقّ فإنه الفضيلة، أوبوا إلى الإسلام وارفعوا بحقّ راية خير الأنام، تُفتح لكم الأرض وتبُوءوا بالفوز في ساحات القتال، ولا يصدّنكم الكِبْر ولا الأصنام ولا الشيوخ ولا الرجال.

يتبع...

في هذا الكتاب، تقويم لتجربة حيّة ودراسة ميدانيّة قائمة زمانيًّا من بعد الثورات -التي اصطُلح عليها الربيع العربي- ومكانيًّا في الشام والعراق، يقوم على دراسة الملف الشرعيّ للتيار الجهاديّ بين القاعدة وفرعها دولة الخلافة.

SEIRAJ.COM

الثبات أمام المتغيرات

عثمان بن الحسن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، أما بعد:

إنّ المتأمّل لأحوال المسلمين اليوم -ونتيجة لكثرة الفتن وانتشار الشبهات والشهوات ودُعاتها-، لَيَرَى صورًا عديدة من الانتكاس وعدم الثبات على الحقّ، لهذا كان أعظم نجاح وانتصار في حياة المسلم هو الثبات على الحقّ حتى الممات، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال البغوي: «قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ كلمة التوحيد وهي قول لا إله إلا الله، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني قبل الموت، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يعني في القبر. هذا قول أكثر أهل التفسير» [معالم التنزيل ٣٨/٣]، وأخبر تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، فالثبات على الحقّ مطلوب من كل مسلم، والتردد والتذبذب من صفات المنافقين كما أخبر الله تعالى عن حالهم: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٣]، وقال عزّ وجلّ عنهم أيضًا: ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥].

وإنّ ممّا يُمتدح به المرء أن يكون ثابت الرأي والموقف غير متقلّب، بل المتقلّب لا يُمدح ولا يصاحَب؛ لعدم ثبات أمره وصُحبته ولصعوبة معاملته، فعن شدّاد بن أوس رضي الله عنه، قال: «احفظوا مِنّي ما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا اكتنز الناس الدنانير والدراهم فاكتنِزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرُّشد...» [صحيح ابن حبّان ٩٣٥]، وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «دعواتٌ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يُكْثِر أن يدعو بها: يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك. قالت: فقلتُ: يا رسول الله، إنّك تُكْثِر تدعو بهذا الدعاء. فقال: إنّ قلب الآدميّ بين أصبعين من أصابع الله عزّ وجلّ، فإذا شاء أزاغه، وإذا شاء أقامه» [أحمد ٢٤٦٠٤]، وعن أنس رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكْثِر أن يقول: يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك، فقلتُ: يا رسول الله، آمَنّا بك وبما جئتَ به، فهل تخاف علينا؟ قال: نعم؛ إنّ القلوب بين أصبعين من أصابع الله، يقلّبها كيف يشاء» [الترمذي ٢١٤٠].

أخي في الله: إني لك من الناصحين، إياك أن تجالِس أهل الأهواء والجدال والخصومات، وإياك أن تتعرّض للشُّبَه؛ فإنّ الشُّبَه خَطّافة، وإنها تزرع الشكوك وتنزع اليقين، وإنّ القلوب ضعيفة، ولقد سُمِّيَ القلب لتقلّبه كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: «لَقَلْبُ ابن آدم أشدّ انقلابًا من القِدر إذا استجمعت غليانًا» [الطبراني ٢٠٢١].

وقد قال شاعرهم:

قَدْ سُمِّيَ الْقَلْبُ قَلْبًا مِنْ تَقَلُّبِهِ
* * *
فَاحْذَرْ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ قَلْبٍ وَتَحْوِيلِ

فمن عُرضت على قلبه الفتن أصابته آفتان قاتلتان: سواد قلبه وانتكاسه. ويتولّد عن ذلك مرَضان: لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا والعياذ بالله، وإليك الدليل من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وهو أعلم الناس بالفتن: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تُعْرَض الفتن على القلوب كالحصير؛ عُودًا عُودًا، فأيّ قلبٍ أُشربها، نُكِتَ فيه نكتة سوداء، وأيّ قلبٍ أنكرها، نُكِتَ فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين؛ على أبيضٍ مثل الصفا فلا تضرّه فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُرْبادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعرف معروفًا، ولا يُنكر منكرًا، إلا ما أُشرب من هواه» [مسلم ٢٣٩]

وإني أعيذك بالله يا أخي أن تكون ممّن قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠]، وممّا يجب الانتباه له أنّ الفتن تزداد يومًا بعد يوم، وتَجعل المسلم يَخرج عن دينه ويتقلّب، وما هذا إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بادِروا بالأعمال فِتَنًا كَقِطَعِ الليل المُظلم، يُصبح الرجل مؤمنًا ويُمسي كافرًا، أو يُمسي مؤمنًا ويُصبح كافرًا، يَبيع دينه بعرَضٍ من الدنيا» [الترمذي ٢١٩٧]، وقال الحسن البصري في هذا الحديث: «يُصبح الرجل مؤمنًا ويُمسي كافرًا ويُمسي مؤمنًا ويُصبح كافرًا. قال: يُصبح الرجل مُحَرِّمًا لدم أخيه وعِرضه وماله ويُمسي مُسْتَحِلًّا له، ويُمسي مُحَرِّمًا لدم أخيه وعِرضه وماله ويُصبح مُسْتَحِلًّا له» [الترمذي ٢١٩٨]... إنها فتن تَجعل الإنسان يتمنى الموت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يمرّ الرجل على القبر فيتمرّغ عليه، ويقول: يا ليتني كنتُ مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين إلا البلاء» [مسلم ١٥٧].

وإني أحذّرك يا أخي من فتنة دعاة الضلالة ودعاة التعالم، فإياك أن تَترك هذا المنهج الصحيح الصافي الذي مُستمدّه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتتّبع المتشابه من القول، وإذا قال لك أحدهم إنّا لا نتّبع أحدًا وليس لنا شيخ أو معلّم أو سلف نقتدي بهم، وإنما نقتدي بما وجدناه في كتاب الله، فإياك وإياهم واحذرهم على دينك ونفسك، واعرف أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا عنهم فقال: «ألا هل عسى رجلٌ يَبلغه الحديث عنّي وهو مُتّكِئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالًا استحللناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرّمناه، وإنّ ما حَرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حَرّم الله» [الترمذي ٢٦٦٤]، وقل لهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله يَبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنة من يُجَدِّد لها دينها» [أبو داود ٤٢٩١]، وافعل أخي المسلم معهم ما فعل علي بن أبي

طالب رضي الله عنه، مع الخوارج لَمّا أتوا بشبهة قريبة منها فقالوا له يعيبون عليه ويُكفرّونه: «حَكَّمْتَ الرجال في أمر الله، والله يقول: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾»، فأتى علي رضي الله عنه، بالمصاحف، وصار يقول: «أيّها المصحف، حَدِّث الناس! فناداه الناس: يا أمير المؤمنين، ما تَسأل عنه؟! إنّما هو مِدادٌ في ورق! ونحن نتكلم بما روينا منه» [أحمد ٦٥٦]، فهو رضي الله عنه أراد إلزامهم الحجة وإسكاتهم... ومثله عن أيوب السختياني، أنّ رجلًا قال لمطرّف بن عبد الله بن الشِّخِّير: «لا تُحدِّثونا إلا بالقرآن!! فقال له مُطَرِّف: والله ما أريدُ بالقرآن بدلًا، ولكن أريدُ من هو أعلم بالقرآن منّا» [جامع بيان العلم وفضله ٢٣٤٩].

وأحذّرك من فتنة المال، ومن فتنة النساء خاصة، ومن فتنة انقلاب الموازين، ومن فتنة الأولاد، ومن فتنة الكفّار وما يسمّى بضغط الواقع، والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

وأوصيك يا أخي بأعظم وسائل الثبات زمن الفتن والمتغيّرات، أن تتمسّك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وعلى ما كان عليه الجَمْع الأوّلون ومن تبعهم بإحسان، واجمع بين قراءة الكتاب والسنة وبين فهمهما وطلب معانيهما؛ يسلَم لك دينك ودنياك. يقول ابن تيمية: «لكن أكثر ما نَجِدُ الردّة فيمن عنده قرآن بلا عِلم وإيمان، أو من عنده إيمان بلا عِلم وقرآن. فأمّا من أوتي القرآن والإيمان فحَصَل فيه العِلم، فهذا لا يُرفع من صدره، والله أعلم» [مجموع الفتاوى ١٨/٣٠٥].

وأختم وصيتي لك بقول الحسن: «العامل على غير عِلم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير عِلم ما يُفسد أكثر ممّا يُصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا تَضُرّوا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا تَضُرّوا بالعلم» [جامع بيان العلم وفضله ١/٥٤٥].

والحمد لله رب العالمين.

لا تصارع خنزيرًا

قيل: «لا تصارع خنزيرًا في الوحل؛ فتتسخ أنت ويستمتع هو».

لا تجعل مجالاً لنقاش الحمقى والمغفّلين؛ فمن تربّى في مستنقعات الجهل وشرب من مراتع الهوى مناقشته تنقص من قدرك وتحطّ من مكانتك، وفي المقابل هو متلذّذ بسفاهته وجهله، مستمتع بجدالك لإيقاعك في الوحل... ولو أقمت عليه الدليل أن الشمس ظاهرة في رابعة النهار على الساعة العاشرة صباحًا في صفاء الجوّ، لما أمكنك إقناعه... فلا تحاول.

أبو همام الإدريسي

الرَّابِطُ الْعَجِيبُ!

خليفة الشحي

كلّما وقع حدث في مكان ما في العالم، توالت علينا «التّحليلات» من كلّ حدب وصوب، ومن كافّة أطياف المجتمع، فيستعرض فلانٌ نظريّته في أسباب الوقوع، محاولاً رسم صورة متكاملة المعالم عمّن يقف وراء هذا الحدث، ودوافع العمل، فيربطه بطريقة غريبة بأحداث أخرى وقعت في وقت قريب، ويتساءل عن رمزيّة التوقيت وبواعث اختيار المكان والزمان، ويأتي على ذكر المستفيد الأكبر من النتائج، فيُنكر ثوابت وحقائق ويبني على فرضيّات لا أساس لها من الصحّة، ويدفع بما أوتي من قوّة كلّ تصريح من ألسُن الفاعلين أو المسؤولين؛ متّهمًا إيّاهم بالكذب والتّواطؤ فيما بينهم، زاعمًا وجود غموض وشكوك حول ملابسات القضيّة... فتخرج بمحصّلة أنّ ما من أمر يقع إلا وراءه جهات استخباريّة وأيادٍ خفيّة تتحكّم في الكون وتحرّكه كيف تشاء وتعلم كلّ شاردة وواردة. وما هذا إلا تهويل من قدرات الكفّار وإعطاؤهم أكبر من حجمهم، وهو نتاج التأثّر بالدّعاية الإعلاميّة التي سَحرت أعين الناس وزَرعت في عقولهم صورة الرّجل الخارق لهذه الدّول بأجهزتها الأمنيّة، والتي تروّج كذلك لفكرة وجود منظّمات سرّية حاكمة للعالم يجتمع أعضاؤها دوريًّا ليتآمروا على الشّعوب ويقرّروا مصائرها وينصّبوا قادتها. ومن مآلات هذا الفكر الهدّام، شرك التّعطيل؛ بنسبة الحوادث لغير خالقها، بالإضافة إلى بثّ روح الهزيمة في النّفوس وترسيخ انعدام القدرة على تغيير الواقع. وما سمعنا يومًا مثل هذه السّذاجة في التفكير كانت لدى سلفنا، بل ولا حتى المتأخّرين، وإنّما تفشّت في السنوات القليلة الماضية حين اندثر الإسلام وطاشت العقول.

وقبل أن تبدأ تحليلاتك تذكّر، ليست هذه لعبة «الرابط العجيب» !

الاستشراق
وسائل وأساليب الروس

إبراهيم بن ثابت السُّلَمي

تكلّمنا في العدد الرابع من مجلة النُّزّاع عن وسائل وأساليب الاستشراق بشكل عامّ، وخاصة الاستشراق الغربي؛ لأنّ أكثر من كَتب عن الاستشراق كان يعني الاستشراق الغربي... وبما أنّ الذين كتبوا عن وسائل وأساليب الاستشراق الروسي أو الشرقي عمومًا قلة، أردتُ في هذا المقال تسليط الضوء على هذا الجانب؛ عسى الله أن يهدي به هذه الشعوب العربية التي خُدعت وظنّت بالروس خيرًا.

مرّ بنا في المقال السابق أنّ الروس كانت لهم اليد الطولى في إقامة «الوطن القومي اليهودي بفلسطين»، ولقد حاربَت الشيوعية الإسلام حربًا لا هوادة فيها، وأطلقَت على منهجه الشائعات الباطلة، واتهَمَت أصحابه بالتخلف والجمود، بالإضافة إلى شنّ الحملات العسكرية المتتالية بجيشها الأحمر على بلدان المنتسبين إلى الإسلام في آسيا الوسطى، وتقسيمها.

«يقول لينين: «من الواجب بسط نفوذ السوفييت على بلدان آسيا الوسطى، ولا سبيل إلى ذلك إلا ببسط النفوذ الشيوعي عليها بالقوة واستعمال وسائل القَمع والقسوة أكثر ممّا فعله القياصرة، والاستيلاء على هذه البلدان استيلاءً كليًّا بحيث لا يُمَكَّن ولا يُعطى لأهلها أي حقّ أو نفوذ فيها». وهكذا نفذّ السوفييت أوامر لينين... وقد تطلّب تنفيذ هذه الأوامر ضحايا بشرية كبيرة من كلا الجانبين؛ الروسي والشعوب الإسلامية. ولقد عُرفت أوامره هذه بأنها الوصيّة المضرّجة بالدماء والمآسي... فكان أول عمل قاموا به أن فرّقوا الشعب إلى عدة قوميّات نسبةً إلى المقاطَعات، وأسموها جمهوريّات... كما جَعلوا كامل الحُكم والنفوذ في أيدي السوفييت مباشرةً وحكرًا عليهم» [كفاح تركستان لمحمد أسد].

ورغم تقتيل الملايين من تلك الشعوب والتنكيل بهم وتشريدهم، إلا أنّ الشيوعية لم تُحرز نصرًا كما كانت تتوقع، ممّا جَعل مولوتوف -أحد زعماء الشيوعية- يقول: «لن تنتشر الشيوعية في الشرق إلا إذا أبعدنا أهله عن تلك الحجارة التي

يعبدونها في الحجاز، وإلا إذا قضينا على الإسلام... ومن هنا جاء الكيد العظيم، والمكر الكُبّار بالإسلام من قِبَل الشيوعية، فوَضَعَت الخطط الرهيبة المُحْكَمَة لإبعاد الإسلام عن مجال التوجيه والإدارة؛ ليتسنّى للشيوعيين تحقيق ما يريدون» [المذاهب المعاصرة].

بين أيدينا وثيقة شيوعية خطيرة جدًّا، للقضاء على الإسلام زمن الاتحاد السوفييتي... وكثير من هذه الأساليب والوسائل القذرة ما زالت مستمرة إلى اليوم من روسيا الاتحادية، مع ابتكار أساليب ووسائل جديدة تبعًا للمتغيّرات، تقول الوثيقة:

«برغم مرور خمسين سنة تقريبًا على الاشتراكيّة في الاتحاد السوفييتي، وبرغم الضربات العنيفة التي وجّهَتها أضخم قوة اشتراكية في العالم إلى الإسلام، فإنّ الرّفاق الذين يراقِبون حركة الدين في الاتحاد السوفييتي صرّحوا كما تذكُر مجلة «العلم والدين» الروسية في عددها الصادر في أول يناير / كانون الثاني ١٩٦٤م، بما نصّه: إننا نواجه في الاتحاد السوفييتي تحديّات داخليّة في المناطق الإسلامية، وكأنّ مبادئ «لينين» لم تتشرّبها دماء المسلمين... وبرغم القوى اليقِظة التي تحارِب الدين، فإنّ الإسلام ما يزال يُرسِل إشعاعًا وما يزال يتفجّر بالقوة...

وتقول الوثيقة:

ومن هذا المخطط أن يُتَّخَذ الإسلام نفسُه أداة لهدم الإسلام نفسه، وقررنا ما يلي:

١) مهادَنة الإسلام لتتمّ الغلبة عليه، والمهادَنة لأجَل؛ حتى نضمن أيضًا السيطرة ونجتذب الشعوب العربية للاشتراكية.

٢) تشويه سمعة رجال الدين والحُكم -المتديّنين-، واتّهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية.

٣) تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكليات والمدارس في جميع المراحل... ومزاحَمة الإسلام ومحاصرته حتى لا يصبح قوة تهدد الاشتراكية.

وتقول الوثيقة:

٤) الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفًا، والعمل الدائم بيقظة لمحو أي انبعاث ديني، والضرب بعنف لا رحمة فيه كل من يدعو إلى الدين، ولو أدّى إلى الموت.

٥) ومن هذا لا يغيب عنا أنّ للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات، ولذا وجب أن نحاصره من كل الجهات وفي كل مكان، وإلصاق التّهم به، وتنفير الناس منه بالأسلوب الذي لا ينمّ عن معاداة للإسلام.

٦) تشجيع الكُتّاب الملحدين وإعطاؤهم الحرية كلها في مهاجمة الدين والشعور الديني، والضمير الديني، والعبقرية الدينية، والتركيز في الأذهان أنّ الإسلام انتهى عصره، وهذا هو الواقع، ولم يبقَ منه اليوم إلا العبادات التشكيلية التي هي الصوم، والصلاة، والحج، وعقود الزواج والطلاق، وستخضع هذه العقود للنظم الاشتراكية.

٧) قَطْع الروابط الدينية بين الشعوب قطعًا تامًّا، وإحلال الرابطة الاشتراكية محلّ الرابطة الإسلامية التي هي أكبر خطر على اشتراكيّتنا العلمية.

٨) إنّ فَصْم روابط الدين، ومحو الدين، لا يَتمّان بهدم المساجد والكنائس؛ لأنّ الدين يكمن في الضمير، والمعابد مظهر من مظاهر الدين الخارجيّة، والمطلوب هو هدم الضمير الديني، ولم يصبح صعبًا هدم الدين في ضمير المؤمنين به

بعد أن نجحنا في جعل السيطرة والحُكم والسيادة للاشتراكية... ونجحنا في تعميم ما يهدم الدين من القصص والمسرحيات والمحاضَرات والصحف والأخبار والمؤلَّفات التي تروّج للإلحاد، وتدعو إليه، وتهزأ بالدين ورجاله، وتدعو للعِلم وحده وجعله الإله المسيطر...

٩) مزاحَمة الوعي الديني بالوعي العِلمي، وطرد الوعي الديني بالوعي العِلمي.

١٠) خداع الجماهير بأن نزعم لها بأنّ المسيح اشتراكي وإمام الاشتراكية؛ فهو فقير، ومن أسرة فقيرة، وأتباعه فقراء كادحون، ودعا إلى محاربة الأغنياء.

ونقول عن محمد: إنه إمام الاشتراكيين؛ فهو فقير، وتبعه فقراء، وحاربَ الأغنياءَ المحتكِرين، والإقطاعيين، والمرابين، وثار عليهم، وعلى هٰذا النحو يجب أن نصوّر الأنبياء والرسل، ونُبعد القداسات الروحية والوحي والمعجزات عنهم بقدر الإمكان؛ لنجعلهم بشرًا عاديين حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التي أوجدوها لأنفسهم، وأوجدها لهم أتباعهم المهووسون في التوراة والقرآن والإنجيل قصص، ولئلا نصطدم بشعور الجماهير الديني ونُثيرهم على الاشتراكية، يجب أن نفسّر تلك القصص الدينية تفسيرًا ماديًّا وتاريخيًّا؛ فقصة يوسف عليه السلام -على سبيل المثال- يمكن تفسيرها تفسيرًا ماديًّا وتاريخيًّا، وما فيها من جزيئات يمكن أن نفيد منها في تعبئة الشعور العام ضد الرأسماليين، والإقطاعيين، والنساء الشريفات، والحُكام الرجعيين.

١٢) إخضاع جميع القوى الدينية للنظام الاشتراكي، وتجريد هٰذه القوى تدريجيًّا من موجداتها.

١٣) إشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية، وعدم ترك الفرصة لهم للتفكير، وإشغالهم بالأناشيد الحماسية والوطنية، والأغاني الوطنية، والشؤون العسكرية، والتنظيمات الحزبية، والمحاضَرات المذهبية، والوعود المستمرّة برفع الإنتاج ومستوى المعيشة، وإلقاء مسؤولية التأخّر الاقتصادي والجوع والفقر والمرض... على الرجعية: -أي على الإسلام-، والاستعمار، والإقطاع، وعلماء الدين.

إشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية، وعدم ترك الفرصة لهم للتفكير، وإشغالهم بالأناشيد الحماسية والوطنية، والأغاني الوطنية، والشؤون العسكرية، والتنظيمات الحزبية، والمحاضَرات المذهبية، والوعود المستمرّة برفع الإنتاج ومستوى المعيشة...

١٤) تحطيم القيم الدينية والروحية بإظهار ما فيها من خلل وعيوب، وتحذير القوى المناهِضة.

وتقول الوثيقة:

١٥) الهتاف الدائم ليل نهار وصباح مساء بالثورة، وإنّ الثورة هي المنقذ الأول والأخير للشعوب من حُكامها الرجعيين -بعض الحُكام المتديّنين الذين ما زالت فيهم بعض القيم، وهٰذا كان قَبْل، أمّا الآن فغالبهم قد انسلخوا حتى من الفطرة الإنسانية-، والهتاف للاشتراكية بأنها هي الجنة الموعود بها جماهير الشعوب الكادحة.

١٦) نشر الأفكار الإلحادية، بل نشر كل فكرة تُضعف الشعور الديني والعقيدة الدينية، وزعزعة الثقة في الدين في كل قُطر إسلامي.

١٧) لا بأس من استخدام الدين لهدم الدين، ولا بأس من أداء الزعماء الاشتراكيين بعض الفرائض الدينية الجَماعية للتضليل والخداع -كما يفعل حكّام الشعوب العربية اليوم بالأعياد والمناسبات- على ألا يطول زمن ذلك؛ لأنّ القوى الثورية يجب ألا تُظهر غير ما تُبطن إلا بقدر، ويجب أن تَختصر الوقت والطريق لتَضرب ضربتها، فالثورة قبل كل شيء هدمٌ للقديم والمواريث الدينية جميعها.

١٨) الإعلان بأنّ الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح لا بالدين الزائف الذي يعتنقه الناس لجهلهم، والدين الصحيح هو الاشتراكية، والدين الزائف هو الأفيون الذي يُخَدِّر الشعوب لتنساق وتُسَخَّر لخدمة طبقة معيّنة، وإلصاق كل عيوب الدراويش وخطايا علماء الدين بالدين نفسه، وترويج الإلحاد، وإثبات أنّ الدين خرافة، والخرافة تكمن في الدين الزائف لا الدين الصحيح الذي هو الاشتراكية.

١٩) تسمية الإسلام الذي تؤيّده الاشتراكية لبلوغ مأربها وتحقيق غاياتها بالدين الصحيح والدين الثوري والدين المتطوّر ودين المستقبَل... حتى يتمّ تجريد الإسلام الذي جاء به محمد، من خصائصه ومعالمه، والاحتفاظ منه بالاسم فقط؛ لأنّ العرب إلا القليل مسلمون بطبيعتهم، فليكونوا الآن مسلمين اسمًا، اشتراكيين فعلًا، حتى يذوب الإسلام لفظًا كما ذاب المعنى.

وتقول الوثيقة:

٢٠) أخَذْنا بتعاليم «لينين» ووصيّته بأن يكون الحزب الاشتراكي خصمًا عنيدًا للدين، ويحارِب فكرته... وإذا وُجد من الضروري مهادَنة الدين وتأييده، وَجب أن تكون المهادَنة لأجَل، والتأييد بحذر، على أن يُستخدم التأييد والمهادَنة لمحو الدين.

٢١) الاهتمام بالإسلام مقصود منه:

أولًا: استخدام الإسلام في تحطيم الإسلام.

ثانيًا: استخدام الإسلام للدخول إلى شعوب العالم الإسلامي، ومع أنّ القوى الرجعية -أي الحركات والقوى التي تدعو لإعادة الخلافة وسيطرة الإسلام على الحُكم ونحوها- في العالم العربي والإسلامي قوى يقظة، إلا أنّ الخطة التي اتّخذناها ستُضعف هذه القوى حتى تجرّدها من عناصر احتفاظها بمقوّماتها، فتذوب على مَرِّ الأيام.

٢٢) وبِاسم تصحيح المفاهيم الإسلامية، وتنقيته من الشوائب، وتحت ستار الإسلام، يتمّ القضاء عليه بأن نَستبدل به الاشتراكية»... إهـ [الغزو الثقافي لمحمد الغزالي].

ولقد شاهدنا كيف احتضن فلاديمير بوتين رئيس روسيا الاتحادية -وريثة النظام الشيوعي- القرآن أمام وسائل الإعلام في أحد مساجد مدينة دربند الروسية، وما هذا إلا مكر وخداع وتغيير جلد الأفعى حسب الحاجة؛ فهو يريد كسب تأييد الشعوب العربية والمنتسبة إلى الإسلام في حروبه ضدّهم، فيبيدهم ويفنيهم وهم يصفّقون له... ولتعلم الدنيا بأجمعها أنّ كل حاقد على الإسلام بغضّ النظر عن تَوَجّهه يَتّبع مثل هذه الأساليب الخبيثة.

والله أسأل أن يجعل كيدهم في نحورهم وأن يهدي قومي فإنهم لا يعلمون.

يتبع...

أشكو وحيدا

وَحِيدٌ فِي بِلَادِ الشِّرْكِ أَشْكُو *** بِهَا مِنْ قِلَّةِ الصَّحْبِ الْكِرَامِ
فَلَا صُبْحٌ بِهِ يَنْزَاحُ هَمِّي *** وَلَا فِي أَرْضِهَا يَهْنَا مُقَامِي
تَجَرَّعْتُ الْمَآسِي غَيْرَ أَنِّي *** صَبُورٌ فِي الْوَقَائِعِ وَالصِّدَامِ
لَكَمْ صَادَمْتُ مِنْ خَطْبٍ بِرَأْسِي *** وَأَنْهَضُ رُغْمَ أَنَّ الْجُرْحَ دَامِي
يَرَانِي مَنْ يَرَانِي لَا أُبَالِي *** وَرَأْسِي شَامِخٌ فَوْقَ الْغَمَامِ
وَإِنِّي يَعْلَمُ الرَّحْمَنُ ضَعْفِي *** عُبَيْدٌ حَطَّمَ الْحُزْنَ عِظَامِي
سَلِيمُ الْمُعْتَقَدْ فِي وَسْطِ قَوْمٍ *** بِهِمْ مَرَضٌ وَكُلُّهُمُ سِقَامِ
يَرَوْنَ الشِّرْكَ عُرْفًا وَيْحَ قَوْمِي *** أَحَلُّوهُ وَزَادُوا فِي الْحَرَامِ
بَنَوْا أَدْيَانَهُمْ زُورًا وَظُلْمًا *** مِنَ الْجُهَّالِ أَصْحَابِ الْكَلَامِ
فَأَصْبَحَ دِينُ رَبِّ الْبَيْتِ شَيْئًا *** غَرِيْبًا مَنْ يَدِينُ بِهِ يُلَامِ
يُؤَرِّقُنِي مُصَابُ الدِّينِ حُزْنًا *** وَأَبْكِي حُرْقَةً لَا مِنْ هِيَامِي
أَنَا لِي إِخْوَةٌ فِي اللهِ أَسْرَى *** أُبَاةٌ فِي زَنَازِينِ النِّظَامِ
يُقَاسُونَ الْمَرَارَةَ مِنْ حَقِيرٍ *** سِنِينًا قَدْ قَضُوهَا فِي الظَّلَامِ
وَقَلْبِي فِي شِبَاكِ الْهَوْلِ بَاقٍ *** أَسِيرًا يَصْطَلِي حَرَّ الْأُوَامِ
تُمَزِّقُهُ الْمَوَاجِعُ وَالْمَآسِي *** وَصَرْخَتُهُ كُلُّ أُخْتٍ فِي الْخِيَامِ
أَيَحْكُمُ مُلْحِدٌ وَيَسُودُ قِرْدٌ *** وَقَوْمِي يَلْهَثُونَ عَلَى الْحُطَامِ
أَمَاتُوا كُلَّ مَكْرُمَةٍ وَمَاتُوا *** وَمَا زَالَ التَّفَاخُرُ بِالْأَسَامِي
فَمَنْ لِلدِّينِ يَثْأَرُ لَيْتَ شِعْرِي *** وَعَنْ عِرْضِ الْحَرَائِرِ مَنْ يُحَامِي
مَضَى دَهْرٌ وَقَوْمِي فِي سُبَاتٍ *** سُكَارَى فِي شِعَارَاتِ السَّلَامِ
إِلَهِي أَنْتَ تَعْلَمُ مَا دَهَانَا *** وَأَنَّ الْمَجْدَ يَرْجِعُ بِالْحُسَامِ
فَهَيِّئْ عُصْبَةً لِلدِّينِ تَخْطُو *** خُطَى أُسْدِ الْمَعَارِكِ فِي الْخِصَامِ
تَصُونُ الدِّينَ تَسْعَى لِلْمَعَالِي *** وَتَهْدِمُ كُلَّ شِرْكٍ أَوْ مَقَامِ
فَتُرْغِمُ كُلَّ طَاغُوتٍ وَوَغْدٍ *** طِعَانًا بِالْمُهَنَّدِ وَالسِّهَامِ
فَتَدْعُو تَارَةً وَتَكِرُّ أُخْرَى *** وَتُرْهِبُهُمْ بِقَوْلٍ وَاقْتِحَامِ

الشراع
www.seiraj.com
المحجة
لتحميل الأنشودة
AL_MAHAJAH

شوال

قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾

«...وأشهر الحج التي ذكر الله تعالى: شوال وذو القعدة وذو الحجة...»

البخاري: ١٥٧٢

سبب التسمية

قيل: تشول (ترفع) الإبل بأذنابها فيه طلبًا للإخصاب

مشروعية قضاء الاعتكاف فيه [البخاري: ٢٠٤١]

«... فلم يعتكف في رمضان حتى اعتكف في آخر العشر من شوال»

فضله [مسلم: ١١٦٤]

«من صام رمضان ثم أتبعه ستًّا من شوال، كان كصيام الدهر»

استحباب العمرة فيه [مسلم: ١٢٤٠]

«كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور... قال: الحِل كله»

استحباب النكاح فيه [مسلم: ١٤٢٣]

عن عائشة: «تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال...»

ماذا بعد رمضان؟

من علامات قبول الأعمال، المواظبة عليها بعد رمضان

الشراع
www.seiraj.com

نماذج من النساء العالمات ②

ثناء مصطفى

لنا اليوم وقفة مع عالمة جليلة القدر، عظيمة الشأن، شهد لها القاصي والداني بهذا، إنها أم المؤمنين أم سَلَمَة رضي الله عنها، واسمها «هند بنت أَبي أُمَيّة بن المُغيرة المَخزوميّة. بنت عمّ خالد بن الوليد رضي الله عنه وأرضاه» [السير للذهبي ٢٠٢/٢]، تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم في العام الرابع من الهجرة، كانت راغبة في طلب العلم، مستجيبة لندائه صلى الله عليه وسلم، مُجِدّة غير متباطئة، لا يؤخّرها شغل ولا يحبسها حابس، ملزِمة نفسها بالسّماع منه صلى الله عليه وسلم لتتعلم من وحي النبوّة.

جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله [١٩٩/٤٤]، أنّ أم سلمة قالت: «قلتُ يا رسول الله: ما لنا لا نُذْكَر في القرآن كما يُذكر الرجال؟ قالت: فلم يَرُعْني منه يومًا إلا ونداؤه على المنبر: يا أيها الناس. قالت: وأنا أُسَرِّح رأسي، فلَفَفتُ شعري، ثم دَنوتُ من الباب، فجَعلتُ سمعي عند الجريد، فسمعتُه يقول: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية... [الأحزاب: ٣٥]»، وقالت أيضًا: «يا رسول الله، لا أسمعُ الله ذَكَرَ النساء في الهجرة. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾» [الترمذي ٣٠٢٣]، وفي نزول هذه الآيات إشعار بعلوّ مكانة أمّنا رضي الله عنها، وجعلِها سببًا في ورود هذه الصّفات الطيبة، التي من شأن الرجل والمرأة إذا ما اتصَفا بها أن يَسعدا في دنياهما وأُخراهما؛ لأنها كفيلة لتنظّم علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبغيره تنظيمًا حكيمًا، يهدي إلى الرشد، ويوصل إلى الظفر والنجاح.

كانت أم سلمة رضي الله عنها من المهاجرات السابقات، يقول ابن كثير [البداية والنهاية ١٦٥/٤]: «أول من هاجر منهم؛ أحد عشر رجلًا وأربع نسوة، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين ماشٍ وراكب، فاستأجَروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة... -وذكر أسماءهم ومنهم- أبو سلمة بن عبد الأَسَد، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية... فكانت أول هجرة كانت في الإسلام»، ولبثا فيها شيئًا من الوقت ثم عادا إلى مكة، وكان هذا قبيل الهجرة إلى المدينة بقليل، فلمّا قُضي أمرُ المسلمين بالهجرة إلى المدينة، خرجت مع زوجها ومعها ولدها سلمة في حِجرها، فتلقّاها قومها وقوم زوجها المشركون في طريق الهجرة، ففرّقوا بينهم، واختطفوا الغلام وذهبوا، فأكمَل أبو سلمة المسير وحده فارًّا بدينه ومحافِظًا عليه، وظلّت هي بمكة لأكثر من عام تتلوّى بين شوق الأمومة وحنانها ولوعة فراق زوجها لعله يرجع إليها يومًا ما... وقد كانت رضي الله عنها، خلال تلك المدة تجلس بجوار الكعبة من الصباح

حتى المساء لا تبالي بحرّ الشمس ولا لهيب الصحراء، تبكي وتشكي أمْر حالها إلى الله، فاستعطَف هذا أبناء عمومتها، وأيقن أهل عشيرتها أنها لن تتراجع عن عقيدتها الجديدة، فأعادوا لها ابنها وسمحوا لها أن تلحق بزوجها إن شاءت... فأخذَت ابنها وهاجرت إلى المدينة لتلتقي بأولادها وزوجها هناك بعد الشتات وألم الفراق.

ثم تُبتلى بموت زوجها بعد عودته من الجهاد، يقول ابن سعد عنه: «إنه شهد بدرًا وأُحُدًا فجُرح بها، ثم بعثه النبي محمد صلى الله عليه وسلم على سَرِيّة إلى بني أَسَد في صفَر سنة أربع، ثم رجع، فانتقض جرحه، فمات في جمادى الآخرة» [الإصابة في تمييز الصحابة ١٣٣/٤]، فحزنت لوفاته حزنًا شديدًا، ولكن الله أخلفها خيرًا منه، فقد كان يدعو قبل وفاته قائلًا: «اللّهم اخلفني في أهلي بخير» [الترمذي ٣٥١١]، وممّا روي أنه لمّا توفي، جاءت أم سلمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: «يا رسول الله، إن أبا سلمة قد مات. قال: قولي: اللّهم اغفر لي وله وأعقبني منه عقبى حسنة. قالت: فقلتُ، فأعقَبَني الله من هو خيرٌ لي منه؛ محمدًا صلى الله عليه وسلم» [مسلم ٩١٩]. فتزوجها رسول الله بعد انقضاء عدّتها، وقد كان زواجه منها راجعًا لفضلها ودينها وعقلها الذي يعرفه المتأمّل في جودة رأيها وموقفها المشهور في مشورته صلى الله عليه وسلم لها يوم الحديبية، فقد روى البخاري عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة أنه لمّا فَرَغَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتابة صلح الحديبية مع سهيل بن عمرو، «... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: قوموا فانحَروا ثم احلِقوا. قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذٰلك ثلاث مرات، فلمّا لم يَقم منهم أحد، دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحبّ ذٰلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة، حتى تنحر بَدَنَة لِعِظَمِهَا وسِمْنَهَا بُدْنَك، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلّم أحدًا منهم حتى فعل ذٰلك؛ نَحَرَ بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلمّا رأوا ذٰلك قاموا، فنَحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا...» [البخاري ٢٧٣١]، فكان رأيها رأيًا موفَّقًا ومشورتها مباركة، «كانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ، والرأي الصائب، وإشارتها على النبي صلى الله عليه وآله وسلّم يوم الحديبية تدلّ على وُفور عقلها وصواب رأيها» [الإصابة في تمييز الصحابة ٤٤٠/٤].

وقد نالت حظًّا وافرًا من أنوار النبوّة وعلومها، حتى غدت ممن يُشار إليها بالبنان فقهًا وعلمًا، بل كان الصحابة يَفِدون إليها ويستفتونها في العديد من المسائل، ويَحتكمون إليها عند الاختلاف، وقد ذَكَرَ الشافعي في كتابه الأم، أنّ أبا هريرة وابن عباس اختلفا في عدّة المتوفى عنها زوجها إذا وضعَت حملها، فبعثوا إلى أم سلمة فأجابت بما أجاب به أبو هريرة ووافقت فتواه... رضي الله عنهم جميعًا.

واشتهرت برواية الحديث، إذ تُعَدّ ثاني راوية للحديث بعد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما، فقد «رَوَت أم سلمة ثلاث مائة وثمانية وسبعين حديثًا. واتّفق البخاري ومسلم لها على ثلاثة عشر. وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر» [السير للذهبي ٢١٠/٢]، وكانت معظم روايات أم سلمة في الأحكام، وما اختصّ بالعبادات أساسًا كالطهارة، والصلاة

والزكاة والصوم والحج، وفي أحكام الجنائز والآداب والسلوكيّات، كما روت في المغازي والمظالم والفتن... وقد قصدها كثيرون لسماع الحديث والتفقه في الدين لعِلمها بأحكام الشريعة؛ فقد سمعَت أم سلمة من النبي صلى الله عليه وسلم وابنته فاطمة رضي الله عنها، كما روت عن زوجها الأول أبي سلمة رضي الله عنه، وروى عنها خلقٌ من الصحابة والتابعين فاقوا المئة، منهم أم المؤمنين عائشة وأبو سعيد الخُدري وابنها عمر بن أبي سلمة ومن الطبقة التي بعدهم: «سعيد بن المسيِّب، وشقيق بن سلمة، والأسْوَد بن يزيد، والشعبي، وأبو صالح السَّمَّان، ومجاهد، ونافع بن جُبير بن مُطْعِم، ونافع مولاها، ونافع مولى ابن عمر، وعطاء بن أبي رباح، وشَهْر بن حَوْشَب، وابن أبي مُلَيْكَة، وخلقٌ كثير» [السير للذهبي ٢٠٢/٢]، وعن محمود بن لَبيد، قال: «كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يحفظن من حديث النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا، ولا مِثْلًا لعائشة وأم سلمة» [الطبقات الكبرى ٣٧٥/٢].

كما كانت تُعَدّ من فقهاء الصحابة ممّن كان يُفتي؛ إذ عدّها ابن حزم ضِمن الدرجة الثانية التي تشمل متوسّطي الفتوى بين الصحابة رضي الله عنهم، حيث قال: «المتوسّطون فيما روي عنهم من الفتوى: عثمان، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمرو، وأنس، وأم سلمة...» إلى أن عدّهم ثلاثة عشر [جوامع السيرة ١٣٤].

ومن فضائلها أنها شاركت عائشة رضي الله عنها واختصّت مِثلها بفضيلة نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتها عدة مرّات... روي عن عمر بن أبي سلمة، قال: «لمّا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحَسَنًا وحُسَيْنًا فجَلَّلَهُمْ بِكِسَاء، وعَلِيّ خَلْفَ ظهره فجَلَّلَه بِكِسَاء، ثم قال: اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأَذْهِب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا. قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير» [الترمذي ٣٢٠٥].

وهي رضي الله عنها «آخر من مات من أمهات المؤمنين. عَمَّرَت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد، فوَجَمَتْ لذلك، وغُشِيَ عليها، وحزنَت عليه كثيرًا، لم تلبث بعده إلا يسيرًا، وانتقلت إلى الله تعالى. توفيت أم سلمة سنة إحدى وستين من الهجرة في خلافة يزيد بن معاوية. عاشت أم سلمة نحوًا من تسعين سنة» [السير ٢١٠/٢].

يتبع...

لقد حاول «الإسلاميّون» الوصول إلى السطة عبر الديمقراطية والعملية الانتخابية، فما زادتهم إلا كفرًا وفشلاً، وكذلك حاول «القتاليّون»، فأسلموا الشعوب الجاهلة بالتوحيد ونصروها، فلفظتهم تلك الشعوب وحاربتهم... ونحن اليوم في بداية الطريق، نسير على بصيرة، بخطى ثابتة ولو بطيئة، حرّرنا مسائل الدين واجتمعنا على الأصول، ندعو الناس إلى صحيح الإسلام ونبذل كل ما أوتينا في سبيل تبليغ وإقامة هذا الدين العظيم، حتى يفتح اللَّه علينا أو نهلك دون ذلك. ولسنا نستعجل قطاف الثمرة؛ فمن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

شادي أبو العمارة

قال تعالى

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ
تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾

النحل: ٥-٦

الشراع
www.seiraj.com

بُنِيَت عَلَى عَدَمٍ

يمنى الإمام

إنها سُنّة الله في خَلْقِه، هُنَا في هٰذه الدنيا الدَّنِيَّة لا مَفَرّ مِن البلاء والشّقاء، ولقد بيّن لنا ربنا باختصار حقيقة الحياة على الأرض التي ما جُبِلَت إلا على الأكدار والتعب، في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، وما تلك إلا لَفتة لبني آدم ليدرك عظم قهر الدنيا ومصائبها ونكائبها، وتقلّب أحوالها التي ما تكاد تُدني الفرد حتى تُقصيه، فتخنقه وتنغّصه... عندها صبَرَ هٰذا المخلوق الضعيف، وشَكَر ربه وعرَفَ أنها ليست إلا ممرّ ابتلاء لا دار بقاء، وزاد إيمانه ويقينه بأقدار الله، وأنها واقعة على العبد لا محالة، وعلِمَ أنّ كل أمره خير، فما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه. وممّا زاده صبرًا فوق الصبر وشكرًا وإيمانًا وحمدًا ورضاءً، حديث نبيّه الكريم صلى الله عليه وسلم: «إذا أراد الله بعبدِه الخير عَجَّلَ له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسَك عنه بذنْبِه حتى يُوافيَ به يوم القيامة» [الترمذي ٢٣٩٦]، قال الحسن البصري: «لا تَكرهوا البلايا الواقعة، والنقمات الحادثة؛ فَلَرُبَّ أمرٍ تكرهه فيه نجاتك، ولَرُبَّ أمرٍ تؤْثِره فيه عطبك» [الكشف والبيان ١٣٨/٣]، وقال الفضل بن سهل: «إنّ في العِلل لنعَمًا لا ينبغي للعاقل أن يجهلها؛ فهي تمحيصٌ للذنوب، وتعرّضٌ لثواب الصبر، وإيقاظٌ من الغفلة، وتذكيرٌ بالنعمة في حال الصحة، واستدعاءٌ للتوبة، وحضٌّ على الصدقة» [تاريخ بغداد].

وإنّ «أحوال العالَم والأمم وعوائدهم ونِحَلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقرّ، إنّما هو اختلافٌ على الأيام والأزمنة، وانتقالٌ من حال إلى حال، وكما يكون ذٰلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذٰلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدّوَل، سنّة الله التي قد خلت في عباده» [مقدمة ابن خلدون]... وكما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]... وما عهدناها إلا دار همّ وغمّ ونكد وحزن، كما أخبرنا عنها رسولنا صلى الله عليه وسلم: «ألا إنّ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذِكْرُ الله وما والاه، وعالِم أو متعلم» [سنن الترمذي ٢٣٢٢]، «فالدنيا وكلّ ما فيها ملعونة، أي مُبْعِدَة عن الله؛ لأنها تُشغل عنه، إلا العِلم النافع الدالّ على الله وعلى معرفته، وطلب قربه ورضاه، وذِكْر الله وما والاه ممّا يقرّب من الله» [جامع العلوم والحكم]... ولولا أنها هٰكذا لَمَا قال الله سبحانه وتعالى لنبيه آدم وزوجه عليهما السلام: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧]،

أي فتخرُج من الجنة دار النعيم إلى الدنيا دار الشقاء والمحن... فليست دار إقامة ولا استقامة، ومن فقه مصائبها -أيًّا كانت- أن يعلم المؤمن أنّ البلاء الذي يقرّبه إلى الله خيرٌ له من النعمة التي تبعده عن الله وتُنسيه مَولاه. روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من يُرِد الله به خيرًا يُصِب منه» [البخاري ٦٥٤٥].

إخوتي في الله: يا من رضيتم بقضاء الله وقدَره، إننا منذ العهود الأولى لم نسمع عن أحد من الأنبياء ولا الصالحين نالوا ما نالوا وحازوا ما حازوا إلا بالصبر بعد الشقاء، ولم يُمَكَّن لهم في الأرض إلا بالابتلاء والتمحيص، ولم تمرّ علينا نكبة ولا بليّة إلا وقد مَرّ عليهم أضعافها، وما كان سبيلهم فيها إلا الدعاء والعمل على النصرة، وحبْس النفْس عمّا تكره وحملها عليه، والتقرّب إلى الله عزّ وجلّ بالصبر والكتمان والرضا بما قسَم لهم وأنزل عليهم... فللصبر إخواني في الله على بلاياها أجر عظيم وفوائد لا تعدّ ولا تحصى، يقول ابن القيم [عدة الصابرين]: «فإنّ الله سبحانه جعل الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجندًا لا يُهزم، وحصنًا حصينًا لا يُهدم ولا يُثلم، فهو والنصر أخَوان شقيقان؛ فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، والعسر مع اليسر، وهو أنصَر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد... وجعَل سبحانه الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]... وأخبر أنّ مع الصبر والتقوى لا يضرّ كيد العدوّ ولو كان ذا تسليط، فقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]... وأخبر عن نبيه يوسف الصدّيق أنّ صبره وتقواه وَصّلاه إلى محلّ العزّ والتمكين، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]... وعلّق الفلاح بالصبر والتقوى فعَقل ذلك عنه المؤمنون، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]... وأخبَر عن محبّته لأهله، وفي ذلك أعظم ترغيب للراغبين، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]... ولقد بشّر الصابرين بثلاثٍ كل منها خير ممّا عليه أهل الدنيا يتحاسدون، فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝١٥٦ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]...» إلى آخر النقل.

وإنّ ممّا يُعين على الصبر، أن تعلَم أنّ التَّسَخُّط لا يُعيد مفقودًا، ولا يَرُدّ قضاءً، وإنما يَجلب شقاءً! ولذلك من رضي عن الله وأقداره فله الرّضا، ومَن سَخِط فعليه السّخط... يا صاحب الهَمّ... علامَ الهَمّ؟! وأنتَ تعلَم أنّ ما كَتَبَه الله عزّ وجلّ لنا لا علينا، وهو خيرٌ لنا: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، قال في الفتح [٥٢٢/١١]: «وعَبَّرَ بقوله: ﴿لَنَا﴾، ولم يُعَبِّر بقوله: ﴿عَلَيْنَا﴾؛ تنبيهًا على أنّ الذي يصيبنا نَعُدُّهُ نعمة لا نقمة»... وصلى الله وسلم على من قال: «سيأتي على الناس سنواتٌ خَدَّاعات...» [ابن ماجه ٤٠٣٦]، والذي نفسي بيده؛ ما مرَّ يوم علينا إلا وقد رأينا وعِشنا خداعها ومكر أهلها مرة تلو المرة، ونحن المستضعفون الغرباء الذين أثقل عاتقهم وأتعبهم الخذلان ومطاردة المشركين لهم

في كل مكان... الغرباء الذين تسلّط عليهم العرب والعجم وحاصروهم وسجنوهم وأتلفوا قلوبهم وأبعدوهم عن أحبّتهم، ولا سبيل لهم في الدنيا سوى حبل الله ونصرته... إنهم أهل السّبق في الإيمان في هذه الجاهلية النكراء، إنهم أهل الهمة والعزيمة الذين كانت تربيتهم ونشأتهم على مائدة الصبر ومكابدة الويلات وما لا تقوم بمعناه الكلمات.

يا مَنْ مَنَّ الله عليهم بالإسلام: ألا بَلِّغوا مَن وراءكم أنّ هذا طريقنا وقد فُرِضَ علينا وحُمِّلنا بلاياه، وكُتِب علينا السير في عثراته، فإمّا أن ننتصر لدين الله ونصبر ونجاهِد أنفسنا ومَن حولنا وندافع عن المسلمين ونذبّ عن أعراضهم فيستعملنا الله، أو نَضِلّ كما ضلَّ مَن قبلنا فيستبدلنا الله بأقوام يحبّهم ويحبّونه يدافعون عن دينه ويرفعون راية نبيه صلى الله عليه وسلم.

وأذكّرك أنّ من أشدّ ابتلاءات الأنبياء؛ ابتلاء أيوب عليه الصلاة والسلام، وما جَرَى له مع الْمَرض سِنين عددًا... وأنّ ابتلاءك وهمّك وغمّك لا يماثله بشيء ولا يساويه مهما بلغ فيك التعب والتكدير... وليكُن لسان حالك: لأن أعضّ على جمرة أو أن أقبض عليها حتّى تبرد في يدي أحبّ إليّ من أن أقول لشيءٍ قضاه الله: ليته لم يكن... فهكذا يكون الصبر عند البلاء.

وخالص ما أقول: صبرًا صبرًا آل الإسلام وأهله... لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يَمُرّ بآل ياسِر وهُم يُعذَّبون، فما يَزيد على قول: «صبرًا آل ياسر، فإنّ موعِدكم الجنة» [المعجم الأوسط ١٥٠٨].

والحمد لله رب العالمين.

في أي هذا أستأمر أبويّ؟

أن عائشة قالت: لمّا أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه، بدأ بي، فقال: إني ذاكر لك أمرًا، فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت: قد عَلِم أن أبويّ لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله عز وجل قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]، قالت: فقلت: في أي هذا أستأمر أبويّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلتُ.

صحيح مسلم: ١٤٧٥

منكم براء

لَسْنَا عَبِيدٌ لِلْعَبِيدِ أَوْ غُثَاءْ * * * لَسْنَا نُقَادُ لِوَضْعِهِمْ كَالْأَشْقِيَاءْ

إِنَّا عِبَادٌ لِلْإِلَهِ أَسْلَمُوا * * * إِنَّا بَرَاءٌ مِنْ خُلُوفٍ بَدَّلُوا

غُرَبَاءٌ بَيْنَ جُمُوعِ الْمُشْرِكِينَ وَالسَّوَادْ * * * شِرْكٌ عَمِيمٌ فِي الدِّيَارِ وَالْبِلَادْ

بَيْنَ رِعَاعٍ وَخُلُوفِ الْمُشْرِكِينْ * * * لَا دَارَ فِيهَا رَايَةٌ أَوْ صَوْلَةٌ لِلْمُسْلِمِينْ

غُرَبَاءٌ لَسْنَا نَدِينُ بِدِينِهِمْ لَسْنَا نَلِينْ * * * لَنْ نَرْكَعَ لِحَدِيدِهِمْ لَا لَنْ نَئِينْ

لَسْنَا نُطِيقُ بَيْنَهُمْ تِلْكَ الْحَيَاةْ * * * فِي نَيْلِهَا أَوْ جَمْعِهَا تُحْنَى الْجِبَاهْ

غُرَبَاءٌ قَدَرُ الْإِلَهِ لِصَفْوَةِ الثَّقَلَانِ * * * نَزْعُ الْقَبَائِلِ لِآخِرِ الْأَزْمَانِ

نَبْغِي الْفِرَارَ إِلَى الْإِلَهِ وَنَرْتَجِي * * * فَتْحًا مُبِينًا بَيْنَنَا أَوْ يَصْطَفِي

غُرَبَاءٌ تَحْتَ ظِلَالِ سَيْفِنَا إِنَّا نَقِيلْ * * * مَنْ سَالَمَ الْكُفَّارَ حَادَ عَنِ السَّبِيلْ

سَنُغَيِّرُ تَارِيخَ قَوْمٍ بَدَّلُوا * * * سَنُعِيدُ ذِكْرَى السَّابِقِينَ وَنَرْحَلُ

محمد بن سعيد الأندلسي

الشراع
www.seiraj.com

غزوة الأحزاب
دروس وعبر

أم زهرة

الحمد لله وحده، نصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد: فإنّ أعداء الإسلام كانوا وما زالوا يتربّصون بالإسلام والمسلمين، ويكيدون لهذا الدين، ولا يَدَّخِرون في ذلك جهدًا، ولا يَستصعبون في سبيل هذا أمرًا، ولكن النصر والعاقبة للمتّقين، وهذا وعدُ رب العالمين.

وحتى لا تيأس القلوب من النصر والتمكين للمسلمين في زمن الغربة والاستضعاف والذّل، يجب علينا النّظر والتأمّل بعين البصير في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وغزواته لنتعلم منها أنّ النصر مع الصبر وأنّ الإسلام دين الله الذي تكفّل بنصره واختاره لعباده وارتضاه، وأنّ النصر ليس بالعَدد ولا بالعُدد وإنّما بإيمان لا كفر فيه، وتوحيد لا شرك فيه، ويقين لا ريب فيه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وممّا يزيد اليقين في ذلك غزوة الأحزاب أو الخندق التي كانت في شوّال في السنة الخامسة من الهجرة، فقد كَبُرَ على اليهود ما رأوه من نصرٍ للمسلمين على أعدائهم وظهورٍ لأمْرهم، وقد عجزوا عن مواجهتهم، فلجأوا إلى التأليب والتجميع عليهم.

فخرج وفدٌ من سادتهم وكبرائهم نحوًا من عشرين رجلًا متّجهين لقريش يحرّضونهم على غزو المدينة، ويوعِدونهم بالنصر من أنفسهم، فأجابتهم قريش إلى ذلك عازمة على الخروج بنحو أربعة آلاف مقاتل، فلم يكتفِ اليهود بذلك ولم تهدأ نار حقدهم، فخرجوا متّجهين إلى غطفان، فدعوهم إلى ما دعوا إليه قريش فأجابوا، وهكذا واصَل الوفد الخبيث مهمّته حتى طاف على قبائل العرب واستجاب لذلك أغلبهم، فخرج جيش عرمرم نحو العشرة آلاف مقاتل باتّجاه المدينة من قبائل شتى، ولكن بقلوب مجتمعة على استئصال شأفة المسلمين وإبادة خضرائهم... قلوب سوداء محترقة من الحقد على الإسلام والمسلمين.

ولم يكن لهذا الجيش أن يفاجِئ المسلمين؛ بسبب العيون التي بثّها النبي صلى الله عليه وسلم في كل مكان يأتونه بالأخبار ويطلعونه على ما يدور، فعقد النبي صلى الله عليه وسلم مجلسًا استشاريًّا مع أصحابه عملًا بقول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فأشار عليه سلمان الفارسي، قائلًا: «يا رسول الله، إنّا كنا بأرض فارس إذا

حوصرنا خندقنا علينا» [المغازي للواقدي]. فأسرع الحبيب صلى الله عليه وسلم لتنفيذ الخطة، وأمر الصحابة بحفر الخندق من الجهة الشمالية التي يتوقع دخول الجيش منها، وسارع الصحابة بإنجاز المهمة التي لم تكن سهلة أبدًا، ولكن مع الإيمان واليقين تذللت الصّعاب، فأخَذوا يحفرون وليس في أيديهم سوى المعاول، وبطونهم فارغة، وقد روى أنس بن مالك: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداةٍ باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك عنهم، فلمّا رأى ما بهم من النصَب والجوع، قال: اللّهم إنّ العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة، فقالوا مجيبين له: نحن الذين بايعوا محمدًا، على الجهاد ما بقينا أبدًا» [البخاري ٤٠٩٩].

ونزلت الجموع الكافرة قرب المدينة مختالين بقوّتهم وفرحين بعددهم، والناس في المدينة ما بين منافق يقول: ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]، ومؤمن يقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة آلاف من المسلمين، فجَعلوا ظهورهم إلى جبل سَلْع فتحصّنوا به والخندق بينهم وبين الكفار، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ولمّا أراد المشركون مهاجمة المسلمين واقتحام المدينة، وجدوا خندقًا عريضًا عميقًا يحول بينهم وبين المدينة، فالتجَأوا إلى فرض الحصار عليها بينما لم يكونوا مستعدّين له أبدًا، وردَّدوا بغيظ وتعجّب: «إن هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها» [زاد المعاد].

وبينما كان المسلمون يواجهون الشدة والبلاء في دفع الأحزاب المشركة، إذ ببني قريظة ينقُضون العهد الذي بينهم وبين المسلمين، فأصبح العدوّ من خلف ظهورهم لا يمنعه عنهم مانع، والأحزاب من أمامهم لا يستطيعون الانصراف عنهم، وأصبح حالهم كما وصف الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠]، وفي هذه الشدة يُبتلى المؤمن ليمحَّص ويُظهر العبودية لله تعالى، ويزلزَل قلبه لتخرج منه كل الشوائب التي تحُول بينه وبين الوصول إلى ربه، قال السعدي في تفسيره: «... وعندما اشتدّ الكرب وتفاقمت الشدائد، صار إيمانهم عين اليقين: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]».

وهنالك تَبَيَّنَ نفاق المنافقين، وظهر ما كانوا يُضمِرون، وأمّا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد حاول أن يخفّف وطأة الابتلاء، فأراد أن يصالِح عيينة بن حصن والحارث بن عوف سيّدا غطفان على ثُلث ثمار المدينة؛ حتى ينصرفا بقومهما، فاستشار السعدين في ذلك، فقالا: «يا رسول الله، إن كان الله أمرك بهذا فسمعًا وطاعة، وإن كان شيئًا تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه؛ لقد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهُم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قِرًى أو بَيْعًا، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزّنا بك، نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف. فصوَّبَ رأيهما، وقال: إنّما هو شيء أصنعه لكم لَمّا رأيتُ العرب قد رمتكم عن قوس واحدة» [زاد المعاد].

وهنا تجلّى ثبات وإيمان الصحابة، فجاء النصر بأسباب من عند الله، نسرد طرفًا منها:

١) أرسل الله على المشركين ريحًا فَقَوَّضَتْ خيامهم وكَفَأَتْ قدورهم، وأرسل الملائكة فألقت في قلوبهم الرعب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٧].

٢) جاء نُعَيْمُ بن مسعود بن عامر رضي الله عنه، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا رسول الله، إني قد أسلمتُ، فمُرني بما شئتَ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّما أنت رجلٌ واحدٌ، فَخَذِّل عنّا ما استطعت؛ فإنّ الحرب خدعة... فذهبَ من فوره ذلك إلى بني قريظة، وكان عشيرًا لهم في الجاهلية، فدخل عليهم وهُم لا يعلمون بإسلامه، فقال: يا بني قريظة إنكم قد حاربتم محمدًا، وإنّ قريشًا إن أصابوا فرصة انتهَزوها، وإلا انشمروا إلى بلادهم راجعين، وتركوكم ومحمدًا فانتقَمَ منكم. قالوا: فما العمل يا نُعَيْم؟ قال: لا تقاتِلوا معهم حتى يعطوكم رهائن. قالوا: لقد أشرتَ بالرأي. ثم مضى على وجهه إلى قريش، فقال لهم: تعلمون وُدِّي لكم ونُصحي لكم. قالوا: نعم. قال: إنّ يهود قد ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه، وإنهم قد راسلوه أنهم يأخذون منكم رهائن يدفعونها إليه، ثم يمالئونه عليكم، فإن سألوكم رهائن فلا تعطوهم... ثم ذهب إلى غطفان فقال لهم مثل ذلك، فلمّا كان ليلة السبت من شوّال بعثوا إلى اليهود: إنّا لسنا بأرض مقام، وقد هلك الكُرَاع والخُفّ، فانهَضوا بنا حتى نناجِز محمدًا، فأرسَل إليهم اليهود: إنّ اليوم يوم السبت، وقد علمتم ما أصاب من قبلنا حين أحدَثوا فيه، ومع هذا فإنّا لا نقاتِل معكم حتى تبعثوا إلينا رهائن... فلمّا جاءتهم رُسلهم بذلك، قالت قريش: صَدَقَكُم والله نُعَيْم. فَبَعَثُوا إلى يهود: إنّا والله لا نُرْسِل إليكم أحدًا، فاخرُجوا معنا حتى نناجِز محمدًا، فقالت قريظة: صَدَقَكُم والله نُعَيْم... فتخاذَل الفريقان...» إلى آخر الأثر [زاد المعاد].

٣) سأل فتى من أهل الكوفة حذيفة بن اليمان، فقال: «يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه. قال: نعم يا ابن أخي. قال: كيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنّا نجهد. فقال الفتى: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا ولخدمناه، وفعلنا وفعلنا. فقال حذيفة: يا ابن أخي، والله لقد رأيتني ليلة الأحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم، أدخله الله الجنة؟ فما قام منّا رجل، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيًّا من الليل، ثم التفت إلينا فقال مثله، فسكت القوم، وما قام منّا رجل، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيًّا من الليل، ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر ما فعل القوم على أن يكون رفيقي في الجنة؟ فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلمّا لم يقُم أحد، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا حذيفة. فلم يكن لي بُدٌّ من القيام إليه حين دعاني، فقلتُ: لبّيك يا رسول الله. وقمتُ حتى آتيه، وإنّ جَنْبَيَّ ليضطربان، فمسح رأسي ووجهي، ثم قال: ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم، ولا تُحْدِثَنَّ شيئًا حتى ترجع إلي. ثم قال: اللّهم احفظه من بين يديه ومن

خلفه وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته. فأخذتُ سهمي، وشددتُ عليّ سلاحي، ثم انطلقتُ أمشي نحوهم كأنّما أمشي في حَمَّام، فذهبتُ فدخلتُ في القوم، وقد أرسل الله عليهم ريحًا وجنودًا لله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقِرُّ لهم قِدْرًا ولا نارًا ولا بناءً، وأبو سفيان قاعد يصطلي، فأخذتُ سهمًا فوضعته في كبد قوسي فأردتُ أن أرميه، ولو رميته لأصبته، فذكرتُ قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تُحْدِثَنَّ حدثًا حتى ترجع إلي. فرددتُ سهمي في كنانتي. فلمّا رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم، لا تُقِرُّ لهم قِدْرًا ولا نارًا ولا بناءً، قام فقال: يا معشر قريش، ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فلينظر من هو. فأخذتُ بيد جليسي فقلتُ: من أنت؟ فقال: سبحان الله، أما تعرفني؟ أنا فلان بن فلان. فإذا هو رجل من هوازن. فقال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام؛ لقد هلك الكُرَاع والخُفّ، وأخلفَتنا بنو قريظة، وبلغنا منهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحِلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، وسمعَت غطفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم. قال: فرجعتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أمشي في حَمَّام، فأتيته وهو قائم يصلّي، فلمّا سلّم أخبرته الخبر، فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل...» إلى آخر الأثر [تفسير ابن كثير].

رجع الأحزاب مخذولين منهزمين، وكان النصر للإسلام والمسلمين رغم أنه لم يحدث قتال ومواجهات بالسيف -كسائر الغزوات-، ولكنها كانت الغزوة الأصعب والأكثر تحدّيًا، وكان بعدها النصر متجلّيًا في قوله صلى الله عليه وسلم: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم» [البخاري ٤١١٠].

أهم الدروس من هذه الغزوة:

١) هي رسالة لكل مستضعَف لا يملك من أمره شيئًا، ويخشى على نفسه أن تتخطفه أيدي الطغاة، تخبره أنّ لله جنودًا لا يعلمها إلا هو... لهذا خُذ بأسباب النصر، والله لن يخذل عبدًا نصره ونصر سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٢) نُعَيْم بن مسعود بصدقه وذكائه خَذَّل لوحده عن المسلمين جيشًا عرمرمًا... فماذا فعلت أنت؟!

٣) صفية بنت عبد المطلب كانت امرأة مع نساء المسلمين والأطفال في الحصن لكنها كانت سببًا في صدّ هجوم اليهود عندما تسلل أحدهم للحصن، فنزلت إليه وذبحته وألقت برأسه فظنّ اليهود أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد ترك مع النساء رجالًا أشدّاء... فهؤلاء هُنَّ نساء المؤمنين، فماذا عنك؟!

٤) حذيفة بن اليمان رغم الخوف والبرد والجوع امتثل أوامره صلى الله عليه وسلم، فهل امتثلنا؟!

ختامًا: لكلٍّ منّا دوره في نصرة الدين، فإمّا أن تكون على ثغر تحمل همّ الدين وإمّا أن تكون همًّا على الدين، فانظر أين أنت... وقد تكفّل الله بنصر دينه وإعلاء كلمته، فاللهم استعملنا ولا تستبدلنا.

روى أحمد عن تميم الداري: «لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يَترك الله بيت مَدَر ولا وَبَر إلا أدخله الله هذا الدين، بِعِزّ عزيز أو بِذُلّ ذليل، عِزًّا يُعِزّ الله به الإسلام، وذُلًّا يُذِلّ الله به الكفر».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المنتقى من الفتاوى

إرشاد السائل إلى جواب المسائل

العـــدد ٣٧ • الســـؤال ٣٣

«صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر جميعًا بالمدينة، في غير خوف ولا سفر. قال أبو الزبير: فسألتُ سعيدًا: لِمَ فعل ذلك؟ فقال: سألتُ ابن عباس كما سألتني، فقال: أراد أن لا يحرِج أحدًا من أمّته» [صحيح مسلم]. ما شرحُ هذا الحديث، وهل معناه أنه يجوز الجمع لعذر غير السفر ولا الخوف، كالعمل أو الدراسة مثلًا، وكيف نعرف الأعذار التي يجوز فيها الجمع والأعذار التي لا يجوز فيها الجمع، وكيف نجمع بين هذا الأثر وبين قولهم: «من أخّر صلاة واحدة حتى يخرج وقتها بالكلية فقد كفر»؟

أقول إنَّ الأصل هو إقام الصلاة لوقتها؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، ولا يجوز الجمع بين الصلاتين إلا مِن عُذر؛ لِمَا روي عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من جمع بين الصلاتين من غير عُذر فقد أتى بابًا من أبواب الكبائر»، قال الترمذي: «وَحَنَشٌ هذا هو أبو علي الرَّحَبِي، وهو حسين بن قيس، وهو ضعيف عند أهل الحديث، ضعّفه أحمد وغيره، والعمل على هذا عند أهل العلم: أن لا يَجمع بين الصلاتين إلا في السفر أو بعَرَفة، ورَخَّص بعض أهل العلم من التابعين في الجَمع بين الصلاتين للمريض، وبه يقول أحمد وإسحاق، وقال بعض أهل العلم: يَجمع بين الصلاتين في المطر، وبه يقول الشافعي، وأحمد، وإسحاق، ولم يرَ الشافعي للمريض أن يجمع بين الصلاتين» [الترمذي ٣٥٦/١]، وفي الباب من الآثار:

عن أُبَيّ بن عبد الله، قال: جاءنا كتابُ عمر بن عبد العزيز: «لا تجمعوا بين الصلاتين إلا من عُذر» [ابن أبي شيبة ٢١١/٢].

وعن أبي موسى، قال: «الجَمع بين الصلاتين من غير عُذر من الكبائر» [المصدر السابق].

وعن عمر، قال: «الجَمع بين الصلاتين من غير عُذر من الكبائر» [المصدر السابق].

وعن عبد الرحمن بن حَرْمَلَة، أنّ رجلًا جاء إلى سعيد بن المسيّب، فقال: «إني راعي إبل أحلبها، حتى إذا أمسيتُ صليّتُ المغرب، ثم طَرَحْتُ فَرَقَدْتُ عن العتمة، فقال: لا تَنَم حتى تصلّيها، فإن خِفْتَ أن ترقد فاجمع بينهما» [المصدر السابق].

وعن الضحّاك في المريض يصلّي، قال: «إن شاء جَمَعَ بين الصلاتين» [المصدر السابق].

وأمّا حديث الشيخان عن ابن عباس مرفوعًا: «جَمَعَ بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا مطر، قيل لابن عباس: ما أراد بذلك؟ قال: أراد أن

لا يحرج أمّته» [مسلم ١٥١/٢]، قال الشوكاني: «وممّا يدلّ على تعيين حَمْل حديث الباب على الجَمْع الصُّوري، ما أخرجه النسائي عن ابن عباس بلفظ: «صَلّيْتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر جميعًا، والمغرب والعشاء جميعًا، أَخَّرَ الظهر وعَجَّلَ العصر، وأَخَّرَ المغرب وعَجَّلَ العشاء»، فهذا ابن عباس راوي حديث الباب قد صرّح بأنّ ما رواه من الجَمْع المذكور هو الجَمْع الصُّوري. وممّا يؤيّد ذلك، ما رواه الشيخان عن عمرو بن دينار، أنه قال: «يا أبا الشَّعْثاء أظنه أَخَّرَ الظهر وعَجَّلَ العصر، وأَخَّرَ المغرب وعَجَّلَ العشاء؟ قال: وأنا أظنه». وأبو الشَّعْثاء هو راوي الحديث عن ابن عباس كما تقدّم. ومن المؤيّدات للحَمْل على الجَمْع الصُّوري، ما أخرجه مالك في الموطأ والبخاري وأبو داود والنسائي، عن ابن مسعود قال: «ما رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة لغير ميقاتها إلا صلاتين، جَمَعَ بين المغرب والعشاء بالمزدلفة، وصلى الفجر يومئذ قبل ميقاتها»، فنفى ابن مسعود مُطلق الجَمْع وحَصَرَه في جَمْع المزدلفة، مع أنه ممّن روى حديث الجَمْع بالمدينة كما تقدّم، وهو يدلّ على أنّ الجَمْع الواقع بالمدينة صُوري، ولو كان جَمْعًا حقيقيًّا لَتَعَارَضَ رواياته، والجَمْع ما أمكن المصير إليه هو الواجب. ومن المؤيّدات للحَمْل على الجَمْع الصُّوري أيضًا، ما أخرجه ابن جرير عن ابن عمر، قال: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يؤخّر الظهر ويعجّل العصر فيجمع بينهما، ويؤخّر المغرب ويعجّل العشاء فيجمع بينهما»، وهذا هو الجَمْع الصُّوري، وابن عمر هو ممّن روى جَمْعه صلى الله عليه وسلم بالمدينة، كما أخرج ذلك عبد الرزاق عنه. وهذه الروايات مُعَيِّنَة لِمَا هو المُراد بلفظ: «جَمَعَ»؛ لِمَا تقرّر في الأصول من أنّ لفظ: «جَمَعَ بين الظهر والعصر» لا يَعُمّ وقتها، كما في «مختصر المنتهى» وشروحه، و«الغاية» وشرحها، وسائر كتب الأصول، بل مدلوله لغةً: «الهيئة الاجتماعية»، وهي موجودة في جَمْع التقديم والتأخير والجَمْع الصُّوري، إلا أنه لا يتناول جميعها ولا اثنين منها؛ إذ الفعل المثبت لا يكون عامًّا في أقسامه كما صَرَّحَ بذلك أئمة الأصول، فلا يتعيّن واحد من صُوَر الجَمْع المذكور إلا بدليل، وقد قام الدليل على أنّ الجَمْع المذكور في الباب هو الجَمْع الصُّوري، فوجب المصير إلى ذلك» [نيل الأوطار ٢٥٩/٣].

إن من المستصعب على المسلمين اليوم حفظ دينهم والبقاء على العقيدة الصحيحة إلا عن طريق المراوغة والتفادي للفخاخ التي نصبها الطاغوت، فتراه قد وضع أمام كل باب مصيدة حتى ينقلب السالك عن دينه من حيث لا يدري، وهو يظن أنه يحسن صنعًا... فإن أردت إنشاء شركة أو مزاولة عمل حر، فمطلوب منك استخراج تراخيص وفتح حساب بنكي ربوي... أتريد شراء سيارة أو العمل في شركة؟ العقود مليئة بالشروط والبنود... أتريد أن تصبح مهندسًا أو طبيبًا؟ أمامك مدارس الطاغوت وجامعاته... إلى غير ذلك... فهي مراوغة مستمرة بيننا وبين الطاغوت.

أبو ماجد الإفريقي

أجيبوا داعي الله

إلى التَّائهين المُشتَّتين، إلى مَن ضاقت عليهم فجاج الأرض، إلى مَن غفلت قلوبهم عن الحق، إلى مَن تَركوا نور التَّوحيد وراء ظهورهم واتَّبَعوا أهواء الغافلين الضَّالين، إلى مَن أَضَلَّتهم كثرة دُعاة الخزي والكفر، فاتَّبَعوهم وَوَلَّوا مُدْبرين عن الحقِّ وأهله، إليكم يا مَن دُفِنَت عقولكم في ظلمات الجهل، ندعوكم دعوة مشفقين عليكم، عودوا إلى رُشدكم، هلمُّوا إلى نور الله الذي يُضيء عقولاً شَردت وانحرفَت عن الحقِّ، انجوا بأنفسكم، فلا أحد يغني عنكم مِن الله شيئًا

سـراج الطـريق